د. معصومة عبد الصاحب

أضرار العاميات ودورنا في الارتقاء باللغة

مقدمـــــة

اللغة العربية أقوى دعائم القومية ، والرابطة الرئيسة التي تربط أبناء الأمة العربية ، فهي وسيلة الاتصال والتفاهم وتوحيد الفكر والمشاعر .....

ولغتنا العربية لغة أصيلة ذات حضارة ، وهي تمثل هوية الأمة وكيانها ففي إعزازها عز للأمة ، وفي اذلالها ذل لها .....وفوق ذلك هي لغة القرآن الكريم ، وقد واكبت الحضارة العربية الإسلامية في عصورها المختلفه ، مما اكسبها صفة العالمية ، إلا أن اللغة العربية اليوم في خطر بسبب التحديات التي تواجهها ، وهي كثيرة ... ومنها العاميات وتأثيراتها السلبية على مستوى إتقان اللغة ...

حيث إنه تتكرر الشكوى من تدني المستوى اللغوي في المؤسسات التربوية على اختلاف مراحلها... وتجرى الدراسات لبحث أسبابه... وتعزو الدراسات التربوية هذا التدني إلى عوامل متعددة ... ومن أهمها تأثير العامية السلبي على مستوى إتقان اللغة العربية ...

فما مدى تأثير العامية على إتقان اللغة الفصحى؟ وكيف يمكن الارتقاء بالعامية وتقريبها من الفصحى المعتدلة الميسرة ؟ وما الأضرار الأخرى للعاميات ؟ وما السبيل للارتقاء باللغة ؟

وحيث إن الارتقاء باللغة عملية مشتركة بين مؤسسات المجتمع التعليمية والإعلامية ... فإن الموضوع سيرتكز إلى محورين :

الأول : تأثير العامية على مستوى إتقان اللغة، ودور المدرسة في الارتقاء بها.

الثاني : أضرار العاميات ودور الإعلام في الارتقاء باللغة.

<u>تأثير العامية على مستوى إتقان اللغة ودور المدرسة في الارتقاء بها:</u>

يلاحظ التربويون تأثير العامية السلبي على مستوى إتقان اللغة العربية الفصحى... وذلك لان إتقان المهارات لايتم إلا بالممارسة والمران إلا إن الناشئة لا يمارسون لغتهم الفصحى بالمستوى المطلوب حيث تعلم اللغة العربية الفصحى في المدرسة ، وتمارس العامية في ميادين الحياة...

وهذا الوضع اللغوي يطلق عليه بعض الباحثين اللغوين تجاوزًا " الثنائية اللغوية " أو " الازدواجية اللغوية " في حين إن الازدواجية اللغوية كما هي في مفهوم اللسانيات لاتكون إلا بين

لغتين مختلفتين كما بين العربية والفرنسية ، أو بين الألمانية والتركية مثلا ... لذا فإن مسالة الفصحى والعامية تدخل ضمن إطار آخر يمكن الاصطلاح عليه " بالمستويات اللغوية " ... (1)

إن قضية " الفصحى والعامية ،من القضايا التي شغلت كثيرًا من المهتمين باللغة العربية والغيورين عليها ...كما أثارت اهتمام التربويين واللغويين ، وذلك لتأثير العاميات السلبي على اللغة ...

ويشير الدكتور محمود السيد ، إلى أن علماء اللغة يجمعون ، على أنه لتعلم أية لغة من اللغات ، لابد أن يكون الجو المحيط بالمتعلم ، معززًا لعملية التعلم ...لان الأجواء التي تحيط به يكون لها تأثير إيجابي ، لوكان هناك توافق وانسجام ، بين ما يتلقاه وبين المحيط الذي يتفاعل معه ، في حين يكون لها تأثير سلبي ، فيما لو انتفى هذا التوافق والانسجام . ومن هنا كانت العامية ذات تأثير سلبي في تعلم الفصحى ، إذ تتسرب استعمالات العامية إلى الفصحى من غير أن يكون ثمة صقل وتصويب للغة المتعلمين غالبًا ، وهذا ما يؤدي إلى حدوث الأخطاء ، ومن ثمّ تدني المستوى اللغوي ....(2)

وهذا يتطلب منا أن يضطلع كل بدوره في النهوض باللغة ، ونسعى جاهدين للارتقاء بالعاميات وتقريبها من الفصحى ... وتلك مسؤولية مشتركة بين المؤسسات التعليمية والإعلام ، وحيث إن الانتقال عند الطفل من الكفاية اللغوية في اللهجة المحلية المكتسبة في البيئة إلى الكفاية اللغوية في العربية الفصحى إنما يتم عبر عملية تعليم تبدأ مع بدء الدراسة المدرسية ، لذا لابد أن تتضافر الجهود داخل المؤسسة المدرسية أولا ...

ونبدأ بمعلمي اللغة العربية ، فهم حجر الأساس...

إن الرسالة التي يحملها أستاذ اللغة العربية عظيمة ، والمهام التي يضطلع بها جسيمة ، تجعل مكانته مميزة بين زملائه ، فهو القيّم على مدى إتقان تلاميذه للغتهم ، وعلى مدى العمق والاتساع الذي يجب أن تكون عليه معرفتهم بهذه اللغة ... وفي الوقت نفسه هو أستاذ الحضارة العربية المعبر عنها ... وعليه أيضا أن يجعل تلاميذه يتقنون أساليب التفكير السليم بمختلف أشكاله وتقنياته ، ويدركون دور المطالعة في تعلم اللغات ، ويعودهم على مزاولتها . (3)

وذلك كله يلقي عليه أعباءً كثيرة من المسؤولية ... وأولها أن يشيع الطمأنينة في نفوس تلاميذه فلا ينقلهم نقلة إلى تعلم اللغة التي تختلف عما اكتسبوه من اللغة المحكية في البيئة، فمن المعروف إن هناك أمورًا كثيرة مشتركة بين العامية والفصحى...

يقول الدكتور محمود فهمي حجازي : إن اللغويين والتربويين يعرفون بأن اللهجات العربية تقترب من اللغة الفصحى، في سمات بنيوية ومعجمية كثيرة تصل إلى 90% من الألفاظ والتراكيب . ويمكن الانطلاق من هذه السمات المشتركة والمتقاربة ، من أجل جعل اللغة الفصحى مألوفة لأبنائنا .

ولكي يكون الجو المحيط بالمتعلم معززًا لتعلم اللغة الفصحى ، لابد لمعلم العربية الحرص على استخدام اللغة الفصحى المناسبة خلال العملية التعليمية التعلمية... ويمكن الاستعانة بتسجيلات صوتية بالمادة المعززة ، حتى يألف التلميذ استخدام الفصحى منطوقة ومسموعة ، كذلك لابد أن تكون المواد الثقافية المعبرة ، بلغة سليمة تعطي اللغة العربية مكانتها اللائقة داخل المدرسة... (4)0

إن لغة الحديث (اللهجة العامية) المكتسبة في البيئة تؤثرسلبًا في حصيلة التلاميذ اللغوية، وحيث إن القراءة تصقل تلك الحصيلة وتؤدي إلى تنمية الثروة اللغوية لديهم ، ومن ثمّ الارتقاء بمستواهم في اللغة ، إضافة إلى أهمية القراءة في تنمية الفكر وتثقيف الإنسان ... فإنه يتوجب على المعلم الاهتمام بالقراءة من جانبه أولا ، بحيث يكون مزودًا بمختلف أنواع الثقافة ، إلى جانب اهتمامه ومتابعته في مجال اللغة والأدب ، وكذلك في الاطلاع على المستجدات التربوية وتوظيفها في تنويع طرائق التعليم واستراتيجياته ، فلا تغلب الرتابة على دروسه ، ومن ثمّ تشويق تلاميذه للمادة ...

من جانب آخر ترغيب تلاميذه في القراءة ... وتوضيح أهميتها في تنمية قدراتهم في اللغة وتثقيفهم ، وانعكاس ذلك على تحصيلهم الدراسي .

إضافة إلى ذلك ، يولي اهتمامًا خاصًا لتوجيه تلاميذه إلى القراءات المعززة في اللغة وآدابها ،والاطلاع على كتب التراث التي تبين مكانة اللغة العربية ودور الأمة في بناء الحضارة الإنسانية ، وبذلك يغرس في نفوس تلاميذه حب اللغة والاعتزاز بالانتماء إليها ، وإلى حضارة الأمة .

ومن المعروف إن التلميذ لا يقبل على تعلم اللغة بدافع قوي ، إلا إذا أحس أن المعرفة التي يتلقاها تفيده وتعده للحياة ، وإن الأنشطة التي يتعلمها سيحتاجها ، ويطبقها في مواقف حياته ... ومن هنا لابد من الاهتمام بالجانب الوظيفي في تعليم اللغة وأنشطتها . وأن تكون الأنشطة الصفية واللاصفية باللغة العربية الفصحى ... وأن يعمد المعلمون إلى تعزيزها بالوسائل المحققة للهدف ، وذلك لتوفير الجو الذي يساعد الناشئة على التمكن من لغتهم الأم ، وحبهم لها ...

ومما لاشك فيه إن عملية النهوض باللغة العربية لاتقع على عاتق معلم اللغة العربية وحده... فالمعلمون جميعهم مطالبون باستخدام اللغة العربية الفصحى الميسرة ، في شرح الدروس وفي توجيه

الأسئلة ، وتعويد التلاميذ على المناقشة والإجابة باللغة السليمة ، وتصويب أخطائهم ، وكذلك تعويدهم على الوضوح والدقة في التعبير وفي عرض الأفكار ، وهذا يساعدهم على التعبير السليم شفهيًا وكتابيًا...

إن المجلس القومي لمدرسي اللغة الإنجليزية أوصى ، بأنه يجب على كل مدرس أن يعد نفسه لتدريس اللغة الأم ، حتى لوكان مدرسًا للتاريخ أو الكيمياء أو الفيزياء أو الاجتماع ، أو غير ذلك من فروع المعرفة . كما أنه في أمريكا ، (وكثير من الدول المتقدمة) تجرى اختبارات لغوية للطلبة ، قبل الالتحاق بالجامعة ، لتحديد أهليتهم ...

ومن هنا كان التنافس بين الناشئة في التمكن من اللغة الأم . (5)

وفي ذلك رسالة مهمة للمعلم ، للاهتمام باللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، والرابطة الموحدة للأمة ، وهذا واجب وطني وقومي مقدس ...

إن اضطلاع المعلم بهذه المسؤولية ستدفعه إلى تنمية معرفته باللغة العربية ، والحرص على إتقانها ... وحيث إن الدورات التخصصية تجرى لمعلمي مختلف المواد ، فإنه من المهم أن تجرى لهم أيضًا دورات تأهيلية في أساسيات اللغة ، لأن من يتقن لغته، يتمكن من التعبير السليم، فيكون عرضه أكثر إفهامًا وتأثيرًا وإقناعًا للآخرين ، كما أن إتقان تلك الأساسيات تمكن المعلم من متابعة تلاميذه ، وتقويم ألسنتهم ... وفي ذلك تعزيز لدور معلم اللغة العربية .

أضرار العاميات ودور الإعلام في الارتقاء باللغة :

إن الدعوة إلى العاميات ونبذ الفصحى في الكتابة كان أحد الاتجاهات للحملات العنيفة التي تعرضت لها لغتنا ، فقد تعرضت اللغة العربية في تاريخها الطويل لحملات مغرضة اتخذت ثلاثة اتجاهات:

الأول : اتجاه ينادي بترك اللغة العربية واستخدام لغة أوربية بديلا.

الثاني : اتجاه ينادي بترك الفصحى واستخدام العاميات في الكتابة.

الثالث : اتجاه يدعو إلى اتخاذ الحروف اللاتينية للكتابة العربية...(6)

ومازال هناك من ينادي بها، وينتهجها عن حسن نية وسوء تقدير، أم غير ذلك...

فهناك بعض المحطات الفضائية العربية تنتهج العامية المحلية في بث برامجها ، حتى في نشرات الأخبار الرسمية ...

ولقد ساهمت المحطات الفضائية ، في انتشار كثيرمن الأساليب والتراكيب ، والكلمات غير السليمة وشيوعها ، واستخدام الناس لها ، وانعكس ذلك على استخدامها في كتاباتهم ، وانتقل كثير من

هذه الأساليب ، والتراكيب اللغوية ، إلى الكتب والدراسات والأبحاث ، عن طريق الترجمات غيرالدقيقة ... وقدر لهذه الأساليب أن تنتشر وتلقى رواجًا ، في ظل ضعف اهتمام بعض وسائل الإعلام باستخدام اللغة العربية السليمة... (7)

إن انتهاج العاميات المغرقة في المحلية في بعض المحطات الفضائية، يتعارض مع دور الإعلام المنشود في الارتقاء بمستوى اللغة ... حيث إن استخدام اللهجات المحلية في الإعلام ، يدمر الجهود الرسمية لتعليم العربية ، والتنمية اللغوية التوحيدية ، ويتعارض مع ما تبنيه المدرسة ...

ولغة الإعلام هي اللغة تخاطب جمهورًا ، تجمعه اللغة الفصحى المشتركة للعرب عامة من المحيط إلى الخليج .

وقد أدرك المختصون أهمية الدور اللغوي لوسائل الإعلام ، ونبهوا إلى أنه بالرغم من الدور الذي تضطلع به في خدمة اللغة العربية، فإن بعض ما تقدمه يتعارض مع ما تبنيه المؤسسات التعليمية، وذلك بما تشيع من العامية...

ووجهوا النداء إلى وزراء الإعلام العرب، بأن ينفذوا سياسة إعلامية ، تخدم اللغة العربية السليمة، في كل ما ينشرمقروءًا أو مسموعًا...حيث إن وسائل الاتصال الجماهيري ، كفيلة بالنهوض بالمستوى اللغوي العام في الدول العربية ، بما يحقق الوحدة اللغوية...

فقد أصبحت وسائل الإعلام في مجتمعات متقدمة ، تقوم مع المؤسسات التعليمية بالدور الأكبر ، في تشكيل ملامح الحياة اللغوية ، وذلك يعود إلى طبيعة اللغة ووظيفتها، فاللغة منطوقة مسموعة... والإذاعة تقدم اللغة منطوقة مسموعة، واللغة أهم نظم الاتصال...

والتلفاز بصفة خاصة ، يقدم في كثير من برامجه ، أنماطاً من السلوك الاجتماعي ، ومنه السلوك اللغوي...

واتجاه التغيير اللغوي في عصر وسائل الاتصال ، هو اتجاه إلى الصيغ المشتركة والمصطلحات المشتركة... وفي كل هذا فإن وسائل الاتصال من شأنها ترسيخ السلوك اللغوي المنشود ، وضبط المصطلحات وتوحيد ألفاظ الحضارة وتنميتها كما أنه من شأنها العمل على التوعية بأهمية اللغة الفصيحة في إطار الشعور بالانتماء الواحد للأمة العربية... (8)

إن كثيرًا من المتخصصين المهتمين بالشؤون الإذاعية في العالم ، يؤكدون ضرورة استخدام اللغة المشتركة ، في الإذاعات المسموعة والمرئية ، ولا يتحقق ذلك إلا في اللغة القومية ، أي الفصحى المشتركة...وفي ظل التطور الإعلامي المذهل ، أصبحت اللغة ذات سلطان كبير، لما لها من تأثيرعلى تفكير الأفراد والجماعات... وذلك يحتم على وسائل الإعلام الارتقاء بمستوى اللغة

فتكون لغتها هي العربية الفصحى المشتركة ، فهي التي تتجاوزحدود القطرالعربي إلى جميع الناطقين بالعربية ...

واستعمال الفصحى لغة للإعلام ، ليس مطلبًا عسير المنال كما يقول الدكتورعبد العزيز شرف : فلغة الإعلام هي الفصحى السهلة الميسرة في مستواها العملي، حيث تتسم العربية المشتركة بسمات إعلامية من أهمها : أنها لغة مفهومة لدى العامة، وأنها لغة عالمية اتخذتها شعوب متعددة، منذ استقرت الدولة العربية ، فأخذت بالطابع العربي دينا ولغة وثقافة وحضارة ،. فلغتنا من أغنى اللغات الكبرى تراثا وأطولها عمرا وقد وسعت معارف الأقدمين وتثبت قدرتها على الاتساع لثمار الفكر الانساني وعلى المشاركة في تنمية الثروة الأدبية والفكرية للعالم المعاصر...كما أن اللغة العربية الفصحى قد اكتسبت من التطور العربي والإعلامي مزيدًا من النفوذ في الاتصال الجماهيري محليًا وعالميًا،وأصبح لها مكانها في بعض المنظمات الدولية كلغة عمل ، وهذا يستلزم أن تجتاز لغة الإعلام المشتركة ،المعادلة الصعبة بين التراث والمعاصرة ، وذلك بالتقريب بين مستويات التعبير اللغوي ، فلاتكون مقطوعة الصلة بلغة التراث ، ولا بلغة الحضارة ...(9)

أما العاميات ، فهي على النقيض تمامًا ، لها أضرارها الكبيرة ، التي لا يمكن تجاهلها، وينبغى أن لا تغيب ، عن بال أولئك الذين لازالوا يروجون للعاميات ، ويصرون على استخدام العامية ، المغرقة في المحلية ...

وقد أوضح الدكتور عصام نور الدين ، بأننا لو أبعدنا اللغة العربية الفصحى عن الاستعمال ، واستخدم كل بلد عربي لهجته المحلية ، فإنه مع مرور الزمن ، وحدوث تطورات مستقلة متباينة ، ستخلق الحاجة إلى كلمات جديدة ، وتراكيب جديدة ، ومن ثمّ لغة جديدة ، وبذلك ينقطع الرابط بين العرب بعضهم ببعض ، كما بينهم وبين القرآن الكريم ، واللغة العربية ليست وسيلة اتصال فقط ، بل هي أداة تفكير، إنها تحكم نظرة العربي إلى نفسه وإلى الموجودات وإلى العالم...

ويخلص الدكتورعصام إلى القول ، بأننا بحاجة إلى قرار، سياسي قومي ، لصيانة لغتنا العربية الموحَدة والموحدة ، ورسم سياسة ، واضحة وعملية ، على كل المستويات ، التربوية والدراسية ، والإعلامية ، والإعلانية ، وفي كل الدوائر الرسمية ... ويدعو إلى تحصين أطفالنا ، من العاميات والرطانات ، وإعدادهم للمستقبل ... مؤكدًا أن البدء مع الأطفال ، قد يكون من أنجح البدايات (10)

كذلك يرى الدكتور اميل بديع يعقوب ، أن أضرار العاميات أكثر من حسناتها ... فاعتماد كل قطر عربي لهجته الخاصة ، يؤدي إلى إضعاف التواصل بين الدول العربية ، وفي ذلك أضرار في مختلف المجالات ...

ويوضح تأثيرات العامية على تراث الأمة، بأنها، تهدم التصانيف العربية بأسرها ، وتضيّع الكثيرمن جهود علمائنا المتقدمين... بل سيقضى على التراث القومي الحضاري للأمة...

فالعرب اليوم ، يمكنهم الاطلاع على كتب التراث واستيعابها ، وقراءة روائع الشعر العربي ، وفهمها وتذوقها... فماذا سيكون الحال عند الأجيال القادمة لو اعتمدت اللهجات العامية ، وتلاشت الفصحى تدريجيًا وأصبحت العربية لغة غريبة على أبنائها...

وكيف تقرأ الأجيال القادمة القرآن الكريم وتتمثله ؟ فهل يترجم إلى العاميات ؟ !!!

من جانب آخر ، إن اللهجات العامية لا يمكن الاعتماد عليها ، لتباينها واختلاف أوضاعها ، حتى في القطر الواحد ، فبين كل لهجة من لهجاتها وأختها ، من التباين مالايقل عن الفرق **بين إحداها واللغة الفصحى المشتركة... (11)**

ويذكر الدكتور محمود السيد ، بعض الأمثلة لاختلاف مفردات العامية وتراكيبها ، التي يجدها المواطن العربي ، بين أقطار العروبة ، فمثلاً ، عندما تسأل شخصًا عن أحواله وصحته ، ففي العربية الفصحى تقول :

كيف الحال؟ وفي العامية السورية واللبنانية يقال : " كيفك " ، وفي العراقية ، وبعض اللهجات الخليجية يقال : " شلونك "، وفي المصرية يقال : " ازياك " (ازيّك) ، وفي الجزائرية " كراك " .

وتعبير" ماذا تريد " في الفصحى ، يقابله في العامية السورية ، واللبنانية " شوبدك " ؟ أو " شوبتريد " ؟ ، وفي المصرية " عاوز إيه " ؟ وفي الجزائرية (وبعض اللهجات الخليجية) " ويش تبي " وفي العراقية " شي تريد "

وكلمة " كثيرًا " في الفصحى يقابله " كتير " في العامية السورية ، واللبنانية بإبدال الثاء تاء ، و" قوي " في المصرية ، و " وايد " في الكويتية (ولهجات خليجية) ، و " بزاف " في المغرب العربي و " هواي " في العراقية ... (12)

من جانب آخر إن اللهجات العامية مضطربة ولا تضبطها قواعد ... فمن ظواهرها التي تؤدي إلى التشتت مثًلا :

1- تعدد لهجات القطر الواحد ، واختلاف عباراتها وأساليبها، بحيث يتعذر أحيانا ، فهم مراد المتكلم كما في :

(هذا ويش) أو (شن قايل) ، أو (ها ويش) ومعناها : ما هذا ؟

2- لفظ بعض الحروف في غير مخارجها ، مما يؤدي إلى الالتباس في المعنى ، كما في لفظ القاف مثلا :حيث تلفظ كلمة الحلقة (الحلأة) ، وكلمة قرض تلفظ (أرض) في لهجة ' وتلفظ (قرز) في لهجة أخرى ، وكلمة الثقة تلفظ (**السئة**) وتلفظ كلمة قلم (ألم) ...

3- استخدام مفردات عامية في لهجة ، قد تعطي معنى مختلفًا أو نشازًا ، في لهجة أخرى مثل :

(**نمرق أو نمرء**) بمعنى نمر ، و (**معوئين**) بمعنى متأخرين ، و(**زلمة**) بمعنى رجل ، و(**خشم**) بمعنى **أنف** ، في لهجات خليجية ، وبمعنى **فم** في لهجة سودانية ...

4- إلصاق حروف زائدة في بعض الكلمات ، قد تثقل لفظها أو تغير معناها كما في :

(تحتى) : حتى (شوهيدا) : ماهذا ؟ (عم يتغير) : يتغير ....

5- إقحام مفردات أجنبية مما يجعل الكلام خليطًا لغويًا ركيكًا مثل :

أنا (بالإنستتيوت) المعهد .

بكرة الأولاد عندهم (اسكول) مدرسة ...

وقس على هذا ، الكثير ، الكثير جدًا ، والذي لايتسع المجال هنا لتفصيله ...

أليس من الأفضل والأجدى ، أن يتحدث الأشقاء ويتفاهموا بلغة واحدة دون عوائق ؟

فالعاميات كثيرة ومتنوعة ، وتتعدد ظواهرها ، لتجعلها متباينة ، حتى في القطر الواحد ، ولها تأثيراتها السلبية التي سبق ذكرها ، إلا أن العاميات أدوات اتصال لغوي محدود بين أهليها ...

وحيث إن هناك قدرًا كبيرًا مشتركًا بينها وبين الفصحى ، فإن دراسة العاميات والبحث في ظواهرها اللغوية ، يمكنّنا من استخلاص المفرادت الفصيحة فيها ، ومن ثمّ الارتكاز إليها في التقريب بينها ، والرقي بالعاميات تدريجًا ، ولنبدأ أولا بتصحيح طريقة لفظ الحروف كما هي ، دون إبدال حرف بآخر لفظًا، وعدم إلصاق حروف زائدة بالكلمات ، أو إقحام مفرادات أجنبية في كلامنا ، حتى

يتم التعود على النطق السليم ، وشيئًا فشيًا ، نتمكن من الارتقاء باللهجات العامية ، إلى مستوى اللغة الفصحى الميسرة ، لتكون لساناً عامًا ، موحّدا وموحدا للأشقاء ، لما فيه من إصلاح وتطويرللغة ، وخير للأمة ...

كما أن استعمال الفصحى المشتركة ، سيساعد في الارتقاء بالمستوى اللغوي ، وسيتعامل العرب جميعًا مع وسائل الإعلام دون عوائق اتصالية ، تتمثل في العاميات التي قد تصادف صعوبة في فهمها في بعض المناطق العربية ، مما يعيق التفاهم بين أبناء الأمة العربية الواحدة ، وهو الأساس في كيان القومية العربية... فلو تغلبت اللهجات، واتخذ كل قطر لهجته الخاصة لغة رسمية للثقافة ، فان ذلك سيؤدي إلى ضعف التواصل اللغوي بين العرب ، ومن ثمّ تقويض الرابطة القومية ، وضياع تراث الأمة الحضاري كما سبق ذكره...

ومن هنا فإن قضية الفصحى وصراعها مع العاميات شغلت - ولاتزال تشغل - كثيرًا من المتخصصين والمهتمين من أبنائها ، المحبين للغتهم ، فتصدوا للدفاع عنها ولازالوا...

وهم ينادون بالفصحى لغة تواصل كتابة ونطقاً ، ويعدون ذلك منطلقًا لإصلاح لغوي يتبعه إصلاح ثقافي اجتماعي علمي ، بل سياسي **كما يرى الدكتور كمال بشر** ، ذلك أن الفصحى هي المنقذ من هذه الفوضى اللغوية ، المتمثلة في اللجهات ، والرطانات المنتشرة ، فكيفما تكن اللغة من الوحدة والتماسك ، أوالتمزق والتفرق ، تكن أفكار الناس من التآلف والتوافق ، أوالتنافر والتنابذ ..... ونحن الآن في أشد الحاجة إلى التآلف والتماسك في الفكر والسلوك ، ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع على كلمة سواء ، وقمتها تتمثل في اللغة الموحدة... ويقول الدكتور كمال بشر : بأن اليهود أدركوا هذه الحقيقة حديثاً ، فعاودوا النظر في وضعهم اللغوي ، حيث كانت لغتهم مهددة بالانقراض ، وتمكنوا في النهاية من إنقاذها وصارت لهم لغة موحدة ، ولم يكتفوا بتشكيل لسان موحد لهم للتواصل العام ، بل وظفوا هذا اللسان في بحوثهم ودراساتهم العلمية ، وفي الترجمة من اللغات الأخرى ....

ونحن نتصارع حول المستوى اللغوي الذي ينبغي اختياره الفصحي أم العاميات ؟ فالحل في وحدة اللسان وتآلف عناصره المكونة ، لنظفر بما يغطي حاجة العرب جميعاً ، من وسائل التواصل فيما بينهم ...واللغة العربية هي التي تلبي هذه الحاجة ، لأنها الأعم والأقرب إلى أذهانهم ، والأوفق سبيلاً إلى الفهم والإفهام مهما اختلفت ديارهم وظروفهم ....(13)

<u>خطوات نحو الفصحى الميسرة</u>

يرى متخصصون أن الانتقال من العامية ، إلى الفصحى الميسرة يتم في ثلاث مراحل ، مرحلة تأسيسة ومرحلة انتقالية ، ومرحلة تنفيذية

1- المرحلة التأسيسية :

ويتم فيها الارتقاء بالعامية إلى مستوى يقارب الفصحى ، ويكون ذلك في المرحلة الابتدائية ، وذلك بتهيئة البيئة الملائمة ، لاكتساب الطفل العربية السليمة ، وتوفير الفرصة له لسماع اللغة العربية الفصحى ، بشكل طبيعي ودائم ، حيث إن للسماع دورًا رئيسًا في اكتساب اللغة ، وتطوير المهارات ويسعى إلى تعويد الطفل ، على تلفظ الكلمات بطريقة سليمة . ويكون ذلك إلى جانب التعلم بالفصحى ضمن مناهج التعليم الأساسي .... ويتم التركيز خلال هذه المرحلة على تمكين الطفل من النطق السليم واستخدام العبارات الجميلة البسيطة ، من خلال قراءة القصص له وتشجيعه على القراءة .

2- المرحلة الثانية :

ويتم فيها تقريب الفصحي ، وذلك من خلال تبسيط طرائق شرح قواعدها ، وتعويد الطالب على النطق السليم ، وضبط حركات الإعراب ، وتوعيته لدور النحو ، وضوابط المعاني من خلال حركات الإعراب .

3- المرحلة الثالثة :

ويتم فيها الانتقال إلى مرحلة وسط بين العامية والفصحى في مجالات الحياة اليومية ، ويكون ذلك بالتزام المتحدث سواء أكان في المدرسة أم العمل باعتماد الألفاظ الفصيحة ، دون حرج من خطأ ، أو خوف من انتقاد أو تهكم ، وتنطوي هذه المرحلة على ما يسمى بالاكتساب الاجتماعي للّغة ، فتتأتى اللغة بشكل طبيعيي ، وتنشط السليقة اللغوية ، ويكون ذلك عبر التفاعل الاجتماعي ، ضمن بيئة تتفهم الحاجة إلى التواصل بالمقام الفصيح ، وتفخر بذلك الجانب من اللغة ... (14)

الخلاصة

إن النهوض باللغة وتطويرها ، لايتوقف فقط على نشاط المجامع اللغوية ، وعلى جهود اللغويين العاملين في إطارها ، أو في المؤسسات الثقافية ، وفي دور النشر ، بل هي مهمة تقع على عاتق الجميع ...

ومن هنا لابد من التأكيد على المحاور التالية :

1- إن الأسرة تلعب دورًا رئيسًا ، في تعليم الأبناء حب اللغة وإتقانها ، وتبدأ مسؤوليتها بالعناية بلغة الأبناء منذ الطفولة المبكرة ، فتعليم الطفل اللغة الصحيحة في سنواته الأولى مهم جدًا لبناء قدراته العقلية ونمو ذكائه ....

فلا بد أن تقوم الأسرة بدورها في تعويد الأطفال منذ الصغر على استخدام اللغة السليمة ، وتقرأ لهم القصص البسيطة ، وتشجعهم على قراءتها ، والبدء بحفظ آيات القرآن البسيطة ، والأناشيد والأغاني الوطنية الفصيحة ، كما تشجعهم على متابعة القصص ، وبرامج الأطفال في القنوات الفضائية ، الناطقه باللغة العربية الفصحى .

2- أن القائمين على السياسات التعليمية ، والثقافية ، والإعلامية ، في الوطن العربي دورهم بالغ الأهمية في حماية اللغة العربية ، والارتقاء بالعاميات وتقريبها من الفصحى الميسرة الجامعة .

فلابد أن تتخذ الحكومات خطوات إيجابية حاسمة ، لنصرة اللغة العربية وحمايتها من الانقراض .... حيث إن الجهود تتبدد وتضيع إذا لم تدعم من مراكز صنع القرار السياسي ...

لذلك لابد أن يتم التنسيق بين المجامع اللغوية ، والمجلس الدولي للغة العربية ، وبين مراكز صنع القرار ، **من أجل التأكيد على أن اللغة العربية، ثابت من الثوابت الوطنية والقومية** ، وأن حمايتها ، والسعي للارتقاء بها ، واجب وطني وقومي مقدس ...

3- العمل على تأسيس لجان داخلية بالمجلس ، ممثلة لجميع الأقطار العربية ، وذلك من أجل التعاون في العمل على حماية اللغة العربية ، ويوكل لكل لجنة مهام خاصة ، كمهمة تطويع اللهجات والتقريب بينها، ومعالجة الظواهرالسلبية فيها ، مثل تغيير لفظ بعض الحروف ، وغير ذلك ممايؤدي إلى الالتباس في المعنى ، وذلك بهدف الارتقاء بالعاميات وتقريبها من الفصحى ...إلخ

4 - دعم جهود المجامع اللغوية ، في العمل على إبراز جماليات اللغة العربية الفصحى ، وخصائصها ، وماتمتاز به من عمق مفرداتها ، وسعتها ، وإمكانية تطويعها لمستجدات العصر ، وذلك من أجل تعريف الأبناء بمكانتها ، وتقريبهم منها ... كذلك إبراز كتب التراث ، بتقديمها في حلة جديدة عصرية وفق التقنيات الحديثة ... كما تقوم المجامع اللغوية بتزويد المجلس ، ومن ثمّ المؤسسات الإعلامية والتعليمية ، بالتوصيات الصادرة عنها ...كذلك ضرورة قيام المجمع اللغوي بتشكيل لجنة خاصة من علماء اللغة والنحو، للبحث في قضايا النحو وتذليل صعوباته ، وتحديثه ... فمن المعروف أن المكتبة العربية ، مليئة بكتب تجديد النحو ، القديمة والحديثة ، وكذلك الدراسات ، و البحوث الخاصة بذلك ... إلا إننا في حاجة إلى دراستها وتقويمها وتحديثها... ومن ثمّ تقسيمها إلى مقررات دراسية ... والاستعانة ببعض الموهوبين المبدعين في التقنية الحديثة لإخراجها في حلة عصرية أيضًا ، وذلك لتشويق الطلبة ، وتحبيبهم في النحو .

5 – تعزيز دور المؤسسات الإعلامية ، في أداء رسالتها ، والعمل على استخدام اللغة العربية الفصحى ، وتوفير متخصصين للتدقيق اللغوي ، ومتابعة ماينشر ... مع تخصيص جوائز تشجيعية

في المؤسسات الإعلامية ، للمحافظة على توظيف اللغة العربية السليمة ... وكذلك متابعة أخبار المجامع اللغوية ، ونشرتوصياتها في المجلات والصحف ، مع تخصيص أبواب تعنى بشؤون اللغة ، وقضاياها ...

6 - إن الطبقات المتعلمة والمثقفة مطالبون جميعاً ، بالتنبه والتنبيه ، إلى الأخطار المحيطة باللغة العربية ، في خضّم العولمة ، والتفجر العلمي ، وثورة المعلوماتية والاتصالات ... وتحذيرات اليونسكو ، من انقراض اللغة العربية ، إذا بقيت على حالها من الإهمال والتدهور... حتى يهب الجميع لنصرة اللغة وحمايتها، والسعي إلى الارتقاء بها (كل من موقعه) ...

7 - البدأ بالعمل على الارتقاء بلغة الحديث ، فنتكلم الفصحى المعتدلة الميسره ، تدريجيًا ..... فإذا وردت على لساننا ، كلمة أجنبية أو عامية ، نحاول نطق الكلمة العربية الفصيحة مكانها .، وسنعتاد ذلك شيئًا فشيئًا ، ومن الملاحظ أنه ، كلما ارتقى المستوى التعليمي والثقافي للإنسان ، ارتقى مستوى لغته المحكية ، وخفت الكلمات العامية فيها، وتحدث بلغة سليمة ، فالتقارب بين الفصحى والعامية مرهون بارتفاع المستوى الثقافي ، باستثناء الفئة التي ترى الرقي في التحدث باللغات الأجنبية ، فتهمل لغتها ...

8 - نعاهد أنفسنا بأن نسعى إلى استخدام اللغة العربية السليمة ، وسط أهلنا وأصحابنا ، موضحين لهم خطورة التهاون في إهمال العربية ، ومخاطبة الأبناء باللغة الأجنبية ... مبينين لهم الخطأ الذي يرتكبونه في حق لغتهم وأمتهم ، ونحدثهم عن الشعوب المتقدمة التي تتمسك بلغاتها ، ولاترضى بغيرها بديلا ... بل تسعى إلى نشرها خارج حدودها ، مذكرين بقول الشاعر :

لكل قوم لسان يعرفونه به إن لم يصونوه لم يعرف لهم نسب

خاتمة

إن إتقان اللغة العربية يعني اكتساب الفكر العربي منهجًا ومادة ... فاللغة تمثل هوية الإنسان ونظرته إلى نفسه وإلى الوجود ، واللغة هي الرابطة التي تربط بين أبناء الأمة ، وبها ينقل تراث الأجداد ... ومهمة حماية اللغة العربية ، والنهوض بها واجب وطني وقومي مقدس ، وهي مهمة عظيمة تقع على عاتق الجميع .

فإذا سعى أبناء العربية إلى النهوض بلغتهم والارتقاء بالعاميات وتقريبها من الفصحى الميسرة ، وذلك بصقل لغة الحديث المحكية ، ومحاولة التخلص تدريجيًا من الألفاظ العامية ، وكذلك الكلمات الأجنبية - التي يحلو للبعض أن يطعم كلامه بها !! - و إحلال الألفاظ العربية مكانها ... وإذا انتهج ذلك النهج المثقفون والمعلمون عامة ، ومعلمو اللغة العربية خاصة مع تلاميذهم ، وكذلك الآباء مع أبنائهم ...فإن ذلك يجعل العاميات ترتقي ونصل إلى عامية واحدة تقترب من الفصحى المعتدلة تدريجيًا ....

من جانب آخر لو التزمت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية باستخدام اللغة العربية الفصحى في كل الوطن العربي ، فإن النشء سيعتاد ذلك ....ولاشك أننا إذا بدأنا بالصغار، بتعويدهم استخدام اللغة العربية الميسرة ، فإنه مضمون النتائج ... ويمكن ملاحظة ذلك من حفظهم للاغاني الفصحى البسيطة ، وكذلك بعض الجمل والعبارات بالفصحى في بعض المسلسلات العربية ، وكذلك المترجمة إلى العربية ...

فلو تم الالتزام ، واضّطلع كل بدوره في السعي للارتقاء باللغة ، ودعم الجهود الرسمية ، لوصلنا إلى مرحلة نستطيع أن نتكلم فيها العربية الفصحى المعتدلة عن سليقة ، وتنجح جهود التنمية اللغوية التوحيدية ، التي ينادي بها أبناء العربية المخلصون ، والمحبون لها الغيورون عليها ...

وهنا لابد من تنمية الوعي القومي بضرورة التمسك باللغة العربية ونصرتها ، والحرص على إتقانها و توظيفها الدائم ، وتطوير وسائل تعليمها ، وتنميتها والاهتمام بالبحث في قضاياها والعمل على تقريبها للأبناء ، ودعم جهود علماء وأساتذة اللغة والمجامع اللغوية لتحديثها ، ومواصلة تعريب العلوم والترجمة ، لتتمكن اللغة العربية من مواكبة مستجدات التطورالعلمي والتقني .

المراجع :

1) د. منذر عياشي ، قضايا لسانية وحضارية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، 1991 م.

2) د. محمود السيد ، في قضايا اللغة التربوية ، وكالة المطبوعات، الكويت ،(د.ت)

3) د. أنطوان صياح ، دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1995 م

4) د. محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية في العصر الحديث ، دار قباء ، القاهرة ، 1998م

5) د .محمود السيد ، مرجع سابق

6) د. مناف مهدي محمد الموسوي ، مباحث لغوية ، دار البلاغة ، بيروت ، 1992م

7) د.عبدالله بدران ، سطوة العامية على القنوات الفضائية ، مجلة الكويت ، العدد : 269 مارس 2006 م

8) د. محمود فهم حجازي ، مرجع سابق

9) د. عبد العزيز شرف ، اللغة العربية والفكر المستقبلي ، دار الجيل ، بيروت 1991 م

10) د. عصام نور الدين ، مقابلات لغوية ، دار الصداقة العربية ، بيروت ، 1995م

11) د.أميل بديع يعقوب ، جبران واللغة العربيـة ، جروس برس ، لبنـان 1995م

12) د . محمود السيد ، مرجع سابق

13) د . كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1999م

14) إيمان ريمان وعلي درويش، بين العامية والفصحى مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والإعلام الفضائي ، شركة رايتسكوب المحدودة ، ملبورن ، أستراليا، 2008م